أصدقائي

زيارة صفاء



تأليف حمدي عمارة
رسوم منال بدران

الدار المصرية اللبنانية

عجباً! . . لقد تغيبت صفاء عن المدرسة أمس، وأول أمس! . . وصباح اليوم انتظر الزميلات قُدومَها، وقد تعلّقت أبصارهنَّ ببوّابة المدرسة، يتوقعن دخولها بين لحظة وأخرى، ولكنْ دق الجرس، ولم تأتي صفاء لليوم الثالث على التوالي. . ثلاثة أيام!!. . كانت حيرة الزميلات وحيرة المدرّسات كبيرة، فَلِمَ تغيبت صفاء؟!. . لمَ؟! . . إنها لم تتغيب إطلاقاً، ولم تذكر أية زميلة أن صفاء تغيبت طوال أيام الدراسة!، بل إنها لم تتأخر عن موعد المدرسة قط! وصفاء تلميذة مجتهدة، لم تذكر واحدة من زميلاتها أنها وقفت موقفاً حَرِجاً؛ إذ كانت تؤدي واجباتها وتستذكر دروسها أولاً بأول، ولا تؤجل درس اليوم إلى الغد، ولذا فهي كانت دائماً في طليعة الطالبات، كما أنها كانت عضواً في جماعات الأنشطة: الفنية، والثقافية، والاجتماعية، والرياضية!، وكثيراً ما رفعت اسم مدرستها، سواء في مسابقات أوائل الطلبة، أو في منافسات الأنشطة، أو في المباريات الرياضية، وعلاوة على كل هذا





فكانت تلميذة لطيفة ورقيقة ومهذبة ومتعاونة، لذا أحبها كل الزميلات والمدرسات، وكل من يتعامل معها أو يلتقي بها، وكان لا بد أن تنال التقدير، نظراً لاجتهادها وتفوقها، لذا اختارتها إدارة المدرسة الطالبة المثالية، وفي حفل كبير قدّمت إليها مديرة المدرسة كأس التفوق، وحضر الحفل أولياء أمور الطالبات، وكان والداها ضمن الحاضرين، وكم شعرا بالفرحة وأحسَّا بالفخر حين صفق الجميع لابنتهما صفاء!.

ثلاثة أيام تغيبتهم صفاء، لقد فاتها دروسٌ في جميع المواد، هكذا قالت الزميلات.. تُرى ما سبب تغيُّب صفاء؟ إنَّ «سماح» تسكن بجوار صفاء، هرعت الطالبات إلى سماح يَسْأَلْنَهَا عن صفاء.. وكم تَأَلَّمْنَ حين

أَنبأتهن بمرضها! واستغربن سكوتها طوال هذه الأيام، وحينما علمت سميرة رئيسة اللجنة الاجتماعية لم تكسل، وسرعان ما استأذنت مدرسة الفصل، ولم تلبث أن عرضت فكرتها بضرورة ذهاب مندوبات عن التلميذات لزيارة صفاء.. يا لها من فكرة! لقد أعجبت المدرّسة كما أعجبت الزميلات، واقترحت سميرة أيضاً تقديم هدية لصفاء، واستحسن الجميع اقتراح سميرة، وسرعان ما تقدّمت المدرسة بمساهمتها في ثمن الهدية، وحذا التلميذات حذو المدرّسة وساهمن أيضاً بجزء من مصروفاتهن، كل تلميذة على قدر طاقتها، كل التلميذات ساهمن، عدا سماح، فقد رفضت المساهمة.. وأثناء الفسحة قالت لسميرة والزميلات:



ـ لا أستطيع أن أدفع شيئاً من مصروفي.

وسألتها زميلة: لمَ؟.

فقالت سماح ببساطة: ـ لأنني سأشتري حلوى..

هتفت سميرة في دهشة: ـ حلوى؟!.

واستطردت سماح: ـ كما.. أنني لن أصاحبكن إلى صفاء..

وسألت سميرة في استغراب: لا بد أن هناك أمراً غاية في الأهمية؟!.

وعادت تقول سماح: ـ وهل هناك أهم من استذكار الدروس؟.

ـ ولكنها مشاركة منا لزميلتنا المريضة، ولن تستغرق الزيارة أكثر من ساعة.

وماذا أفيد من هذه المشاركة؟.

ـ زيارة المريض واجبة.



لم تعقّب سماح، وانصرفت تاركة الزميلات يتبادلن نظرات التساؤل والدهشة والاستغراب.

انقضى اليوم الدراسي، وانطلقت الطالبات أعضاء اللجنة الاجتماعية، وذَهَبْنَ إلى محل اللعب والهدايا واشترين الهدية، في حين اتخذت سماح طريقها إلى البيت، وبعد أن خلعت زي المدرسة وارتدت ملابس البيت، حملت لُعبها وعرائسها ونزلت أمام البيت لتلهو بها، وبالطبع نسيت صفاء والزميلات!.



سعت التلميذات إلى حيث تسكن صفاء، وكلهن شوق لرؤيتها والاطمئنان عليها، وحين اقتربن من منزل صفاء لمحت إحداهن «سماح» فأشارت نحوها، وتعجبت الزميلات حين رأين «سماح» مشغولة بلعبها!.. لم تشعر سماح بهن في بداية الأمر، واكتفت الزميلات بتبادل نظرا الاستغراب، وكلٌّ منهن تسأل نفسها:

- لم تتصرف سماح هكذا؟!.

وحين تنبهت سماح لوجودهن لم تُبدِ اهتماماً، ولم تكلّف نفسها عناء استقبالهن وواصلت لعبها!.



دخلت الزميلات بيت صفاء، وكم كانت سعادة الأبوين، فقد هبَّا للقائهن والترحيب بهن، وكم غمرت السعادة قلب صفاء، وسرعان ما دبّت الحيوية في أعضائها، ولم تغب الابتسامة عن محياها.. كان اللقاء حارًا وممتعاً أيضاً.. فقد تجاذبن أطارف الحديث معاً من سعادة وتضاحكن في أدب، وقد لفت نظر صفاء عدم وجود سماح فعلاها القلق، سألت الزميلات عنها، وكان السؤال مباغتاً لهن، وتبادَلْنَ نظرة



حائرة، فماذا يقلْن لصفاء؟.. ولكن سميرة عجّلت وقالت بلباقة:

ـ نسيت!.. لقد حملتني سلامها إليك ومنياتها بشفائك، ولا بد أنها ستقوم بزيارتك..

وفي لباقة أيضاً قدّمت سميرة هدية الزميلات، وشكرتهن صفاء، كما أثنى والداها عليهن، ولم يَلْبَثْنَ أنْ ودّعن الأسرة الصغيرة، بين تمنياتهن بشفاء صفـاء العاجل.

وفي اليوم التالي تجنبت سماح زميلاتها، فلم تشاركهن أحاديثهن، وبعد يومين أنعم الله على صفاء بالشفاء، ورجعت إلى المدرسة في لقاء سعيد.



وتمضي الأيام، وذات يوم تتغيب سماح عن المدرسة، وتعجّل صفاء بزيارتها للاطمئنان عليها، وكم كانت مفاجأة سماح، حيث أنها شعرت بالخجل الشديد، وطأطأت رأسها ولم تستطع أن ترفع وجهها من شدة الحرج، وفي نهاية الزيارة قدّمت إليها صفاء هديتها نيابة عن زميلاتها لتغرق سماح في بحر من لحرج. .حيث أنها لم تشارك زميلاتها في



زيارة صفاء، ولم تساهم في ثمن الهدية، وهي الوحيدة من بين زميلاتها التي اتخذت هذا المسلك، وها هي ذي صفاء أول من عجّلت بزيارتها، هاهي ذي هديتها بين يديها. . لقد تحملت ثمنها وحدها! شعرت سماح بالندم الشديد وحدَّثَتْ نفسها في حسرة:

- ليتني ساهمت في هدية صفاء، وليتني صاحبت الزميلات لزيارتها، بل كان من واجبي أن اتقدّمهن جميعاً، فهي زميلتي وجارتي، وهناك صداقة قوية بين أسرتينا!.



ولم تنس صفاء الإنسانة واجبها نحو زميلتها، فقامت لتعيد عليها الدروس التي فاتتها في ذلك اليوم، وطيلة أيام مرضها، لم تدع درساً واحداً! .

أثنت سماح على صفاء لما بذلته من جهد من أجلها، وتعجبت صفاء وقالت تلومها:

ـ لا شكر على واجب، لقد كنت في موقف صعب، ولا بد أن يقف الصديق بجانب صديقه في وقت الشدة حتى تمضي في سلام.

يا لها من فتاة تعرف حق الزمالة ومعنى الصداقة! إنها تسبب لسماح الحرج بتصرفاتها الإنسانية، وحديثها الذي ينبع من أعماقها،



والذي يلفت النظر ويشد الإعجاب، فلم تقصد أن تسبب الحرج لسماح، أو أن تعلّمها درساً، ولكنها كانت تتصرف ببساطة وعلى طبيعتها، وكما تُمليه عليها مشاعرها.

ـ ليس الاعتذار بالقول، وإنما بالفعل، فلا بد أن أثبت لزميلاتي أنني تعلّمت الكثير بهذا الدرس برغم قسوته، لكنني كنت في أمس الحاجة إليه، لأنه أفاقني، وأيقظني من سُباتي وغفلتي.. يجب أن أؤكد لزميلاتي أنني إنسانة إجتماعية، أحس بإحساس الآخرين، وأشاركهم مشاعرهم وكل مواقفهم، وأتعاون معهم في سبيل الخير.



وفي أول مناسبة، كانت سماح في مقدمة المساهمين، ليس بجزء من مصروفها، ولكن قدّمته كله بنفس راضية، تعلوها ابتسامة صافية، وكانت سبّاقة في كل المناسبات، وكانت كل مشاركاتها عن حب وإيمان.

وهكذا استطاعت سماح أن تمحو فكرة زميلاتها عنها، وقد





سامحنها جميعاً وتَغَاضَيْنَ عن خطئها، هذا ما قرأته في عيونهن وابتساماتهن الصافية، ولم تكرر الخطأ ثانية، بل شاركت الزميلات فيما يفكرّن فيه. . وفي كل أعمالهن الطيبة.

سلسلة أصدقائي

الطبعة الثانية
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٨٣٦٦/ ٩٣
الترقيم الدولي
I.S.B.N
977 - 270 - 100 - 6

الدار المصرية اللبنانية طباعة . نشر . توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس ٣٩٠٩٦١٨ برقياً: دار شادو - ص ب ٢٠٢٢ - القاهرة
AL - DAR AL - MASRIAH AL - LUBNANIAH Printing - Publishing - Distribution
16 Abd El Khalek Sarwat St. P.O.Box 2022 Cairo - Egypt Tel 3923525-3936743 Fax 3909618 Cable Dar Shado